حول منهج جغرافية الإسلام

د. صلاح عبدالجابر عيسى

مقدمـــة :

ارتبط تدريس «جغرافية العالم الإسلامي» كمقرر علمي في الجامعات العربية لأول مرة بجامعة الأزهر بعد تطويرها في عام ١٩٦١ (١٣٨١هـ)[١]، ثم تم تدريسه في بعض أقسام اللغة العربية والجغرافية بالكليات والمعاهد ، وظهرت مؤلفات جغرافية عديدة باللغة العربية تعالج هذا المقرر ، كما ظهرت دراسات محدودة عن القضايا والموضوعات الإسلامية من وجهة نظر جغرافية . وقد أسهم الباحث في تدريس مقرر جغرافية العالم الإسلامي في أكثر من جامعة[٢]، وذلك بعد أن استوعب ما كتب في هذا الموضوع باللغة العربية والمتاح مما كتب عنه باللغة الانجليزية والفرنسية ، وقد استرعى انتباهه أن غالبية الكتابات العربية تنتهج منهجاً جغرافياً اقليمياً تقليدياً، وتغفل الجانب المنهجي التأصيلي لجغرافية الدين الإسلامي ، على حين ظهرت كتابات عديدة باللغات الأجنبية تعالج جغرافية الأديان أصولياً ، ويتبنى بعضها فلسفات مادية إلحادية ، ويقدم بعضها الآخر آراء معتدلة ـ لكنها قد تختلف عن وجهة النظر الإسلامية الخاصة بالأديان عموماً ، وفي كل ذلك يتعرض الباحثون من غير المسلمين لتفسير بعض القضايا الإسلامية من منظور جغرافي يجهل أو يتجاهل حقائق هذا الدين السماوي الخاتم وخصائصه . وإذا كانت الجهود العلمية الإسلامية في مجال جغرافية الأديان هي جدُ محدودة ، فربما عزى ذلك إلى إحجام الأقلام عن الخوض فيه مظنة التورط في قضايا تصطدم بالقدرية أو بالتعليلات المادية الصرفة للظاهرات .

وتنشد هذه الدراسة الوصول إلى تصور منهجي لكيفية المعالجة الجغرافية للإسلام كدين سماوي خاتم وتبيان أهم العناصر الأولى بالدراسة في الموضوع ، وتنظيمها في نسق علمي ، يستوحي أركانه وعناصره من خصائص المنهج الجغرافي ومن خصائص الدين الإسلامي معاً .

وتمشياً مع عنوان الدراسة الحالية «حول منهج لجغرافية الإسلام» وكذلك مع أهدافها ، يحسن تقسيم المعالجة إلى العناصر الخمسة التالية :

- بين المنهج التدريسي والمنهج الجغرافي.
- جغرافية الأديان ومناهجها.
- طبيعة الإسلام والمنهج الجغرافي لدراسته.
- منهج لجغرافية الإسلام الأصولية.
- منهج لجغرافية الإسلام التطبيقية.

أولاً : بين المنهج التدريسي والمنهج الجغرافي .

تتباين التعريفات التي ترد للمنهج في المؤلفات الأصولية ، فقد ينصرف المنهج عند البعض إلى وسيلة المعالجة العامة ، وعند آخرين إلى وسائل البحث الخاصة[٣]، وإن كانت الأخيرة يمكن أن يطلق عليها تقنيات (تكنيك) البحث[٤]، وقد يعني المنهج الاثنين معاً . ويرى غالبية المختصين أن اصطلاح المنهج أصبح يعني «الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة»[٥]. كما يصح تحديد مفهوم المنهج عموماً **بالطريقة** ، سواء كانت في البحث عن الحقيقة ، أو في نقل هذه الحقيقة إلى الآخرين ، والأولى في هذا الفهم هي **منهج بحث** ، والثانية هي **منهج تدريس** ويقع المنهج الذي نعنيه في هذه الدراسة في المعنيين معاً ، فهو يختص بالبحث في موضوع جغرافية الإسلام من جانب ، وكذلك بتدريس مقرر علمي في نفس الموضوع من جانب آخر .

ولعلماء التربية ومناهج التدريس مفهومهم للمنهج ، وإن كانوا يركزون على المناهج المدرسية (دون الجامعية) ، فإنهم يصطلحون على تسمية ما تقدمه المدرسة إلى تلاميذها بالمنهج[٦]، ولهذا المنهج عندهم مفهومان يتصلان بقدر عطاء المدرسة للطلاب ، مفهوم

تقليدي أو ضيق ، يقصر المنهج على مقرر المادة الدراسية أو برنامجها الدراسي ، ومفهوم حديث أو واسع يعني جميع أنواع النشاط أو الخبرات التي يقوم بها الطلاب أو يكتسبونها بإشراف المدرسة وتوجيهها ، سواء في داخل المدرسة أو خارجها[٧]. ويقسم علماء التربية المناهج التدريسية إلى عدة أنواع حسب كيفية تقديم المعرفة واكساب الخبرة لهما :

منهج المواد المنفصلة ـ المنهج المترابط ـ منهج المجالات الواسعة ـ منهج الوحدات ـ منهج النشاط ـ المنهج المحوري .

ويهمنا منها المنهج الأول، حيث أنه أنسبها لمعالجة موضوع جغرافية الإسلام، ومن خصائص منهج المواد الدراسية المنفصلة تنظيمه الحقائق العلمية للموضوع تنظيماً منطقياً ، وتركيزه على شرح المعلومات ، كما أنه سهل الإعداد والتقويم ، ورغم ما يؤخذ عليه من انفصاله عن النشاط إلا أن رجال الجامعات يؤيدونه ، ويعتبرونه السبيل الأمثل لتدريس المواد في المرحلة الجامعية[٨] ، ويمكن تحسين هذا المنهج بالتأكيد على الربط بين الموضوع وغيره من المقررات ومراعاة ذلك في تنظيم المادة العلمية وهذا ما ينجح المنهج الجغرافي في تحقيقه .

وبالنسبة للمنهج الجغرافي فقد خلص هارتسهورن سنة ١٩٣٩[٩] إلى أن الكثير من الجغرافيين أكدوا أن منهج علمهم هو دراسة الظاهرات كما هي مترابطة على سطح الأرض ، أو هو بمعنى آخر دراسة الترتيب المكاني للظاهرات على سطح الأرض ، وذلك يرتكز على توزيع الظاهرات والبحث عن أنماطها وعلاقاتها وتداخلها في المكان ، وقد حدد كل من تشابمان ومنشل[١٠] خمس طرق أو عناصر للمنهج الجغرافي هي : تحليل المواقع والمواضع الجغرافية ـ التوزيع المكاني والنمط ـ العلاقات المكانية ـ الوظيفة الإقليمية ـ النظم المكانية . ومن البديهي في غياب المنهج السابق أن تتحول الجغرافيا إلى مجرد دائرة معارف كما يقول بذلك هارتسهورن .

ويبقى بعد ذلك سؤالان : من الذي يضع المنهج ؟
وما طريقة وضع المنهج ؟

وتختلف الإجابة عن السؤال الأول عند المختصين ، ففي المناهج التدريسية يرى البعض قيام الطلاب بوضعها ، والبعض الآخر يفضل المدرسين ، والثالث يسندها إلى الخبراء

والموجهين ، والرابع ينادي بمسئولية العلماء في اختيار المواد الدراسية ، والكثيرون يرون اشتراك فريق متكامل في تخطيط المناهج(١١).

وفي مناهج البحث تتراوح مسئولية وضعها بين العلماء والفلاسفة ، فالعلماء المختصون يضعون المناهج ويعد لونها، بينما يتابع فلاسفة المناهج ما وضعه العلماء محاولين تنسيقه في نماذج وتوجيهات عامة توضع أمام العلماء لقبولها أو رفضها(١٢). وهذا يقود إلى الإجابة عن السؤال الثاني: إذ أن هناك أسلوبين يمكن اتباعهما في وضع تو اقتراح المنهج ، الأسلوب الاستقرائي Induction والأسلوب الاستنتاجي Deduction ويعني الأول استقرار ما كتبه المختصون من مناهج والوصول منها إلى نتائج ومنهج ، بينما يعني الثاني اقتراح منهج نظري دون الإلتفات إلى ماسبق من جهود ، وتظهر أهمية الأسلوب الأخير إذا كان الموضوع بكراً لم يطرق من قبل . وسوف أتبع الأسلوبين السابقين في معالجة واقتراح منهج لجغرافية الإسلام ، وفي كل يلزم اتباع مراحل وأسس وضع المنهج(١٣)، ومن أهمها وضوح أهدافه التي تنبع من حاجات وأغراض كل من المتعلم والمجتمع ، وكذلك من النظام المتكامل للمعرفة البشرية ، ومنها أيضاً اختيار المحتوى المناسب الذي يحقق هذه الأهداف .

نخلص مما سبق إلى أننا سوف نتبنى منهج المواد المنفصلة ــ المقررات لموضوع جغرافية الإسلام ، ملتزمين بقواعد المنهج الجغرافي ، وذلك من خلال الاستقراء والإستنتاج معاً .

ثانياً : جغرافية الأديان ومناهجها :

يتضح من مراجعة التصنيفات الحديثة العلوم الجغرافية والكتب الأمهات في الجغرافيا البشرية أن جغرافية الأديان لم تكن فرعاً أو مقرراً جغرافياً مشهوراً لدى غالبية الجغرافيين ، بل إنها لم تلق الإهتمام الكافي حتى الآن ، فأول كتابة جغرافية مطولة ومنشورة عن الأديان لم تظهر إلا في سنة ١٩٤٨م على يد بيير دى فونتين (De Fontaine)(١٤)، وإن كان يمكن أن نلحظ الإرهاص الأول لهذا التخصص عند ايمانويل كانت (E. Kant) (متوفي سنة ١٨٠٤) حينما قسم الجغرافيا الطبيعية إلى خمسة أقسام منها الجغرافيا اللاهوتية (Theological) وتعني بتوزيع الأديان ، والجغرافيا الأخلاقية (Moral) ، وتعني بعادات الإنسان وشخصيته وعلاقة كل ذلك بالبيئة(١٥).

وفي دراسته للجغرافيا الدينية للولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦١م ، أشار الجغرافي الأمريكي زلنسكي (Zelinsky)[١٦] إلى الدراسات الغربية التي سبقته في موضوع جغرافية الأديان عموماً ، وأولها مانشره الألماني باول فيكلر (P. Fickeler) في العدد الأول من مجلة (Erdkunde) سنة ١٩٤٧م بعنوان «أساس جغرافية الأديان»[١٧]، وتتضمن قائمة ببليوجرافية تحليلية للدراسات الألمانية حول جغرافية الأديان فضلاً عن بعض القضايا المنهجية في الموضوع . وفي سنة ١٩٤٨م ظهر كتاب دى فونتين سابق الذكر ، وهو عمل تجريبي قائم على بيانات غير كافية ، كما أنه يميل أكثر إلى الكتابة الانثروبولوجية ، إلا أنه يسهب في إبراز أثر الدين على مظاهر العمران وعلى الجوانب المتعددة للسلوك الإنساني ، ومع هذا لم يصنف المؤلف الديانات المختلفة ، ولم يناقش توزيعها في بياناتها وعلاقاتها المتباينة عبر الفترات التاريخية والثقافية المختلفة[١٨].

ثم ظهرت في سنة ١٩٥١م دراسة محدودة للأستاذ فلير (Fleure H.J.) بعنوان «التوزيع الجغرافي للديانات الكبرى»[١٩]، وقدم اريك (Eric Fischer) سنة ١٩٥٦م دراسة مماثلة في لقاء رابطة الجغرافيين الأمريكيين بعنوان «ملاحظات على جغرافية الأديان» لكنها لم تنشر ــ ونشر ملخص لها في مجلة الرابطة (العدد ٤٦ سنة ١٩٥٦م)[٢٠] ، وفي سنة ١٩٥٧م كتب فيشر موضوعاً بعنوان «الديانات ، توزيعها ودورها في الجغرافية السياسية» ونشره ضمن كتاب «مبادىء الجغرافية السياسية» لمؤلفه هانز فايجرت (Hans W. Weigert)[٢١].

ويرى زلنسكى أن أهم الدراسات الإقليمية لجغرافية الأديان هي ماكتبه زافير دي بلانول[٢٢] (Xavier de Planhol سنة ١٩٥٧م) عن «العالم الإسلامي ــ دراسة في جغرافية الأديان» ، وقد ترجم إلى الانجليزية سنة ١٩٥٩م بعنوان (The World of Islam) ، والكتاب في تقييم زلنسكى ــ عبارة عن تصوير عام وممتاز للموضوع وإن لم يدرسه بالتفصيل كموضوع كبير ومركب ، ويؤخذ على دى بلانول تطبيقه لنظرية الحتم الجغرافي في هذا الكتاب ، وتحيزه ضد الإسلام[٢٣].

ولم تكن كتابة دى بلانول هي الأولى من نوعها عن الجغرافيا الدينية للعالم الإسلامي ، فقد سبقتها عدة أعمال من أهمها المقالة التي كتبها رينيه لوكنت (Rene Le Conte) سنة ١٩٢٢م ، عن

جغرافية الإسلام Le Geographie de l'Islam وذلك في المجلد ٣٥ من مجلة الحركة الجغرافية Le Mouvement Geographique .

وما كتبه حسن جوهر بالانجليزية سنة ١٩٣٠ عن «تأثير العوامل الجغرافية على انتشار الإسلام» وذلك على شكل رسالة علمية قدمت إلى جامعة بريستول ، وكذلك ما كتبه حزين بالانجليزية سنة ١٩٤٢م في كتابه عن الجزيرة العربية والشرق الأقصى ، وكتابة محمد حسونة عن «الجغرافيا التاريخية الإسلامية» سنة ١٩٥٠م . ولقد ظهرت في الستينات عدة أعمال علمية في الجغرافيا الإسلامية من أهمها ما كتبه عبدالعزيز كامل عن «قيام الإسلام» سنة ١٩٦٠م[٢٤]، وعن «وجه العالم الإسلامي سنة ١٩٦٥م[٢٥] هذا فضلاً عن ما سطرته أقلام الجغرافيين فيما بعد عن الجغرافيا العامة والاقليمية للعالم الإسلامي .

وفي خلال فترة الستينات تطرق كتاب جغرافية الأديان إلى بعض القضايا المنهجية ولو بصورة عرضية ــ والمتصلة بموضوع ومجال جغرافية الأديان ذاتها ، وكذلك مناهج معالجة وتفسير العلاقة بين الدين والمظاهر الجغرافية .

وفيما يتعلق بموضوع ومجال جغرافية الأديان : أشار زلنسكى سنة ١٩٦١م[٢٦] إلى أن دراسة هذا الموضوع محاطة بعدة مشكلات تحدد العناصر التي يمكن دراستها ، ومن أهم تلك المشكلات عدم توافر البيانات والإحصائيات الأساسية عن الدين خاصة على مستوى العالم ، والتباين الكبير في البيانات الصادرة عن الوكالات المختلفة ، وكذلك الخلط والتداخل في البيانات المتعلقة بالدين ، وصعوبة الحصول على بعض البيانات حيث إن الدين ظاهرة متعددة الجوانب ، وبعض جوانبها روحي وشخصي لا يخضع للملاحظة أو القياس هذا فضلاً عن وجود تعريفات كثيرة ومتباينة للدين .

وبناء على ما سبق يتساءل زلنسكى حول موضوع الدراسة في جغرافية الأديان :

ــ هل يقتصر على دراسة تابعي كل ديانة أو عقيدة من الناحية الشكلية المادية ؟

ــ هل يدرس درجة عمق العقيدة الدينية ؟ وكيف يمكن قياس ذلك وملاحظة الظاهر غير المادية ؟

ـ هل الدين سبب وعامل لتشكيل المظهر الحضاري والثقافي ؟ أو أنه مجرد أثر أو عنصر لذلك المظهر ؟

ـ هل يقتصر الجغرافي على ملاحظة المظاهر المادية للدين والتي تنعكس على المظهر العمراني والنشاط الإقتصادي والعلاقات السياسية ؟

ـ هل يركز على المظاهر الداخلية والروحية التي تعد من أساسيات تلك الظاهرة الروحية (الدين) ؟

وقد لوحظ أن معظم الجغرافيين الذين تصدوا للكتابة في جغرافية الأديان قصروا اهتمامهم على إبراز أثر الدين على المظهر الحضاري ، خاصة المعماري وعلى مرفولوجية المدن والقرى والخصائص الأخرى للمظهر العمراني ، وذلك لصعوبة الحصول على بيانات دقيقة عن الجوانب الأخرى لعلاقات ظاهرة الدين .

ويرى عبدالعزيز كامل سنة ١٩٦٨م[٢٧] أن جغرافية الأديان فرع من الجغرافيا البشرية التي تتخذ من التفاعل بين الإنسان والبيئة موضوعاً لها ، إذ أن علاقة الإنسان ببيئته تتأثر بقوة الفكر أو «الغلاف الفكري» لديه أهم مايشكل ذلك الغلاف ، كما أن الدين عموماً يوفر نمطاً متكاملاً للحياة يؤثر إلى حد كبير في تشكيل البيئة . وفي علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم بالبيئات الأخرى مما يؤثر على التنظيم السياسي والإجتماعي والإقتصادي ، وينعكس كل هذا على الأنماط والتوزيعات والعلاقات الجغرافية ، ويرى أيضاً أن الجغرافيا الدينية لها جغرافيتها التاريخية وجغرافيتها المعاصرة ، وواضح أن هذا الرأي الأخير ينطوي على درجة ملحوظة من النضج المنهجي في جغرافية الأديان ، فهو يحدد بصراحة انتماءها للجغرافيا البشرية ، وموضوع دراستها المستقل وهو المظاهر المادية للحياة الدينية بشمولها ، وهذا ما أشار إليه فلكر P. Fickeler سنة ١٩٤٧م[٢٨] من أن جميع الديانات في تطورها تخلف مظاهر واضحة لها ثباتها المكاني ودوامها الزمني بحيث يمكن دراستها جغرافياً .

أما مناهج المعالجة والتفسير الجغرافي فنراها تميل إلى اتخاذ توجهين الأول يتبنى الحتمية والثاني يتبنى التحليل الموضوعي ، ومن أمثلة التوجه الأول الحتمي ماكتبه اريك اسحق Erich Issace سنة ١٩٦٠م[٢٩] عن الدين ومظهر الأرض والمكان ، وهو حافل بالتفسيرات الحتمية لعلاقات تلك العناصر وقد يفضي التشبث بالحتمية إلى آراء متطرفة وخطيرة عن العلاقة بين

الجغرافيا والدين كالتي وردت عند الجغرافي الهندي جورج كوريان George Kuriyan سنة ١٩٦١م[٣٠] فهو مثلاً يسخر من تصوير الديانات السماوية لجهنم بأنها حارة ، ويقول إن ذلك من وحي الحرارة الشديدة التي تميز مواطنها الصحراوية ، لكنها تكون بذلك محببة عند أهل المناطق الشمالية الذين تصوروا جهنم على أنها برد شديد ، كذلك فإنه يقدم تفسيرات ضالة واهية عن سبب وجود أسوار حول الجنة ، ولماذا وصفت الجنة بأنها ظل ظليل ، كما يفسر تعدد ديانات الهند بتعدد أنهارها تعتبر عطية من الإله فتصير لها قداستها وتغسل مياهها خطايا البشر العظيمة .

ولقد أشرنا من قبل إلى أن دى بلانول سنة ١٩٥٧م قد طبق نظرية الحتم الجغرافي في تفسيره لتوزيع الدين الإسلامي . والجدير بالذكر أنه إذا كان لبعض التفسيرات الحتمية وجاهتها بالنسبة لبعض المعتقدات والديانات التي ابتدعها البشر فإنها لا تصح البتة في تفسير الديانات السماوية التي تصدر في كل توجهاتها عن الوحي والتقدير الإلهي .

ومن أمثلة التحليل الموضوعي للديانات ما كتبه زلنسكى عن الجغرافيا الدينية للولايات المتحدة حيث اقتصر على تحليل بيانات العضوية في كنائس الولايات سنة ١٩٥٢م نتيجة لقلة البيانات الإحصائية والدراسات السابقة وحاول منها أن يميز تقسيمات اقليمية ومذهبية للنصارى حسب الأصول التاريخية للشعب الأمريكي وانتهى منها إلى تصور أقاليم دينية للولايات المتحدة . ومن تلك الدراسات الموضوعية أيضاً ما قدمه كل من نلسون Nelson وكلوز Clews سنة ١٩٧٣م عن التحركات الجغرافية والسلوك الديني[٣١] ، وهي محاولة لتبين أثر التحركات الداخلية للسكان على سلوكهم الديني ، أو بمعنى آخر البحث عن العلاقة بين المسافة التي يقطعها الفرد بعيداً عن وطنه الأصلي وبين مدى التغير في سلوكه الديني . وفي نفس الاتجاه كتب هنشو Hinshaw وستوتز Stutz سنة ١٩٧٦م عن السلوك المكاني الإجتماعي الديني[٣٢]، بغية تحديد النمط السلوكي لانتقال الأفراد إلى الكنيسة معتمدين على بيانات مجمعة عن عضوية ١٤ كنيسة في منطقة سان ديجو سنة ١٩٧٢م ، ويشير الباحثان السابقان إلى أن معظم دراسات جغرافية الأديان في الولايات المتحدة ظهرت في شكل رسائل للماجستير والدكتوراه وتقوم على مناهج تاريخية وتوزيعية بهدف تحديد مناطق الخدمات الدينية على مستوى المدينة .

ولكن الكتاب الأصولي والمنهجي الهام في «جغرافية الأديان» هو كتاب سوفر Sopher الذي

صدر سنة ١٩٦٧م بذلك العنوان[٣٣] ، وقد جاء الكتاب في خمسة فصول يعالج كل منها عنصراً أصولياً للموضوع ويمكن اعتباره مؤشراً منهجياً لتلك المعالجة ، حيث خصص الفصل الأول لتصنيف الأنظمة الدينية ، والفصل الثاني لدراسة الأساس الجغرافي للنظم الدينية متجنباً التفسير الحتمي في ذلك . وجاء الثالث بعنوان «الدين والأرض» أو أثره على الأرض متمثلاً في المظاهر السلبية والإيجابية التي تنتج عن المعتقدات والممارسات الدينية على الأرض ، وهو أكثر الفصول منهجية وتشويقاً ، وتناول الرابع التنظيم الديني للمكان معالجاً الأماكن المقدسة وأقاليمها وعلاقات تلك الأقاليم ، ودرس في الفصل الأخير توزيع الديانات وخرائط امتداداتها ومناطق التقائها ودرجة اقترابها .

وخلاصة ماسبق أنه رغم تعدد الدراسات في جغرافية الأديان وتطورها نحو النضج المنهجي والذي تمثل مرحلته الأخيرة إضافة سوفر الأصولية ، إلا أنه لم يستقر حتى الآن منهج أو إطار محدد لجغرافية الأديان يؤكد عدد الأعمال الأصولية والمنهجية التي تظهر في الموضوع ، وهذا ما سنحاوله في جغرافية الإسلام .

ثالثاً : طبيعة الإسلام والمنهج الجغرافي لدراسته :

من المنطقي أن يكون ثمة توافق بين طبيعة موضوع ما والمنهج المقترح لدراسته ولذا ينبغي قبل وضع تصور لمنهج جغرافي لدراسة الإسلام كدين ، التعرف على طبيعة هذا الدين ، وما إذا كان يتشابه مع الديانات والمعتقدات الأخرى للبشر أم أن له خصوصياته التي ينفرد بها ، ولابد حينئذ أن ينسجم المنهج المقترح مع تلك الخصوصيات .

ونستطيع أن نبرز بعض الخصائص العامة للدين الإسلامي والتي لها أهميتها في توجيه المنهج الجغرافي لدراسته وأهمها :

١ ــ الإسلام أحد الديانات السماوية الكتابية ، ويختلف بذلك عن المعتقدات والديانات التي ابتدعها أو زعمها بعض البشر في أنه من وحي الله تعالى وعلى هذا لا يجوز أن تفسر علاقات الدين بالظاهرات الجغرافية أو ارتباط بعض حقائق الدين بأسس جغرافية لا يجوز تفسير ذلك بنظرية الحتم الجغرافي أو البيئي فالله تعالى خالق كل شيء، وهو سبحانه

يرتب العلاقات بين الظاهرات والأشياء ﴿الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل﴾[٣٤].

٢ ـ الإسلام يتميز على الديانات السماوية بأنه خاتمها جميعاً ، وبذلك جاء كاملاً وشاملاً لمراد الله تعالى من هدايته لخلقه ، فبين لهم طريقاً ومنهجاً وأرسى تطبيقاً عملياً تتكامل فيه المادة مع الروح ، وأصبحت الهداية في اتباع هذا الإسلام الخاتم ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا . . . .﴾[٣٥] . وقد أشار إلى هذه الحقيقة أحد الكتاب[٣٦] المنصفين من غير المسلمين حيث صنف الديانات السماوية الثلاث ، فذكر أن اليهودية دين شعب ، والنصرانية دين روح ، والإسلام دين روح ومادة ، أي أنه دين شامل متكامل .

٣ ـ الإسلام أسس القواعد الشرعية لقيام بناء مادي حضاري منظم لجماعات البشر فيما يعرف باسم الدول ، فلم يكتف بتربية الفرد على التكامل بين الروح والمادة فيما يرضي الله ، بل تعهد جماعات الأفراد المؤمنين منظم علاقاتهم فيما بينهم من ناحية وفيما بينهم وبين مخلوقات الكون من ـ ناحية أخرى ، ما يتواجد منها في محيطهم القريب أو محيطهم البعيد ، أي في شكل الجماعات المحلية أو الدول أو العالم أجمع . وقد عبر الجغرافي الغربي اسحق بومان[٣٧] عن ذلك بقوله ، إن الديانة الإسلامية على النقيض من النصرانية واليهودية (ويقصد منهما كل الديانات السماوية وغير السماوية) لا تنحصر في كونها مجرد نظام أخلاقي له تأثيره على روح الإنسان ، لكنها عقيدة قوة وسلطة ، هي نظام قانوني ، ومرشد للسياسة وأساسي لقيام حكومة (دولة).

والإنسان المسلم سواء في فرد أو جماعة يتلقى الهدى في سلوكه من دينه وينظم شئون حياته وفقاً لهذا الدين ، وتنخرط الجماعة المسلمة في بوتقة إسلامية تصدر عنها في جميع تصرفاتها وأفعالها المتعلقة بالدنيا والآخرة ، وتتحدد هذه البوتقة بأن كل ما فيها إنما هو بتوجيه الله ، كما أنه يبتغى وجه الله ورضوانه (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)[٣٨] . أي أن الإسلام يشكل التفكير والسلوك بالنسبة للشخص المسلم ويتجه بها جميعاً إلى غاية واحدة هي في نفس الوقت مصدر التوجيه في الفكر والسلوك ، هي الله سبحانه وتعالى .

وإذا كان لب موضوع الجغرافيا هو ما تسفر عنه علاقة الإنسان ببيئته ، بحيث تكون هناك ألوان من العلاقات الجغرافية ــ طرفاها : الإنسان والبيئة فإننا يمكننا تصور طبيعة علاقات الإنسان المسلم ببيئته ، والمحصلات الجغرافية ــ الناجمة عن تلك العلاقات في نموذج جديد لشبكة العلاقات الجغرافية ــ من وجهة نظر الفكر الإسلامي ، كما يلي :

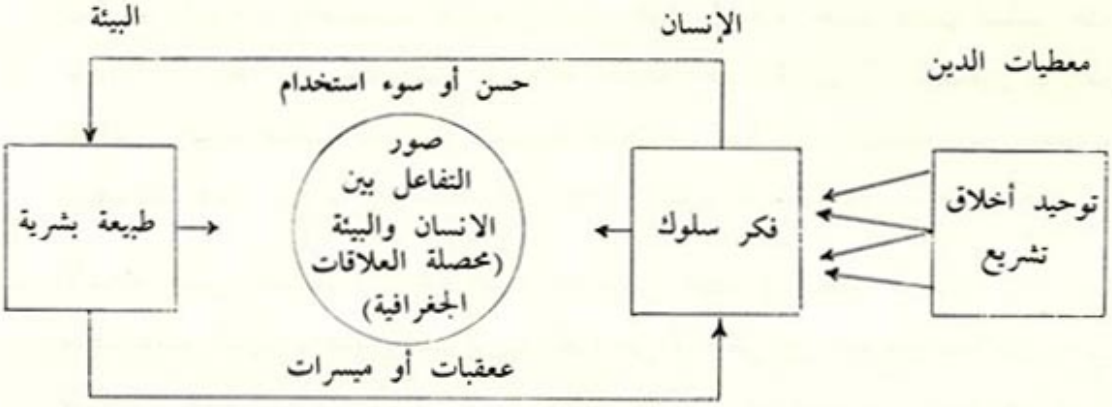

● (شكل ١) نموذج لشبكة العلاقات الجغرافية ●

ويتألف نموذج العلاقات من ثلاثة عناصر متفاعلة هي معطيات الدين ، الإنسان ، والبيئة ، وإذا نظرنا إلى أول طرفي العلاقات الجغرافية في النموذج التقليدي وهو الإنسان نلاحظ أنه في جوهره عبارة عن فكر وسلوك ، ويستمد الإنسان المسلم مكونات فكره وموجهات سلوكه من دينه الإسلامي الذي شملت معطياته جوانب التوحيد والأخلاق والتشريع ، وفكر المسلم وليد التوحيد والأخلاق ــ الإسلامية وسلوكه نتاج للأخلاق والتشريع ، وتلك هي العلاقة الوثيقة بين الدين والإنسان .

وفي الطرف الآخر نجد البيئة بمعطياتها الطبيعية والبشرية ، ولها هي الأخرى علاقاتها المتبادلة مع الإنسان ، فهي من جانب تؤثر على الإنسان ، فقد تمثل عناصرها ميسرات أو عقبات في حياته ، ومن جانب آخر يؤثر الإنسان على البيئة فهو يحاول بفكره وسلوكه أن يطوع البيئة لأمره ويفيد من امكاناتها وعناصرها لاحتياجات حياته . وقد يترتب على تلك المحاولات حسن استخدام أو سوء استخدام لعناصر البيئة . المهم أنه تنتج لدينا

مجموعة محصلات لصور العلاقات بين الإنسان وبيئته الطبيعية تشكل في النهاية ما يمكن تسميته بالبيئة الجغرافية .

ويصبح واضحاً أثر معطيات الدين على البيئة الجغرافية ، ففي حالة تشبع الإنسان كفكر وسلوك بمعطيات الدين تكون العلاقة بينه وبين البيئة الطبيعية على خير مايكون ، (أي حالة حسن استخدام) وإذا لم يتشبع الإنسان بمعطيات الدين فقد تسوء العلاقة بينه وبين بيئته (حالة سوء استخدام) ، وأبسط مايقال عن هذا أن الإنسان المؤمن مأمور باستخدام إمكانات البيئة التي سخرها له الله فيما ينفع الناس أجمعين ، بينما يبيح غير المؤمن لنفسه استخدامها فيما يضر الآخرين . فقاعدة التعامل عند المسلمين «لا ضرر ولا ضرار» .

ونتيجة لهذا الفهم لطبيعة الدين الإسلامي ولشبكة العلاقات الجغرافية برؤية إسلامية يمكن أن يتحدد لدينا مجال دراسة جغرافية الإسلام ، وهو مظاهر تفاعل الإنسان المسلم مع بيئته الشاملة ، أو محصلة العلاقات الجغرافية في البيئة الإسلامية .

أما المنهج الجغرافي المناسب لدراسة موضوع جغرافية الإسلام فيتصف بثلاث خصائص أساسية هي :

١ ــ أنه منهج لا يعتمد على التفسير الحتمي لعلاقة الإنسان ببيئته ، ذلك أن الإنسان في الإسلام مخير في حدود طاقته الإنسانية ، ومأمور أن يستخدم هذه الطاقة بإيجابية نافعة وسيحاسب على ذلك من الله «أعملوا ، فكل ميسر لما خلق له ، وكل محاسب على ما يسر له»[٣٩] ولذلك فالتفسير الإمكاني هو الأوفق لطبيعة الإسلام .

٢ ــ أنه منهج شامل للجوانب المادية الطبيعية والجوانب البشرية في البيئة الإسلامية لا يركز على أحدها دون الآخر . فالمسلم مأمور بأن يتعامل مع كل العوالم ويعمل النظر والفكر بها ، ويستفيد من إمكاناتها «وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً منه . .»[٤٠] وآيات الله مبثوثة داخل الإنسان وفي الكون المحيط به «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم»[٤١].

٣ ـ أنه منهج له جانبه الأصولي النظري وجانبه التطبيقي ، كما أن للإسلام في أصوله جوانب نظرية مثل: التوحيد والأخلاق ، وجوانب للتطبيق مثل التشريع ، وله في قوامه جانبه الأصولي كدين ، وجانبه التطبيقي كدولة ، وعلى ذلك لابد أن تكون لدراسة جغرافية الإسلام جانب أصولي يهتم بتقعيد عناصر الموضوع وبيان الأساس النظري لها ، وجانب تطبيقي يوظف القواعد السابق ارساؤها في واقع محسوس .

ولسوف نعرض لهذين الجانبين وما يمكن أن يحتوياه من مباحث فيما يلي :

رابعاً : منهج لجغرافية الإسلام الأصولية :

أوضحنا سابقاً ملامح منهج جغرافية الإسلام عموماً ، ولكن المنهج التفصيلي لدراسة الجوانب الأصولية للإسلام ينبغي أن يتفق مع عدة خصائص للدين الإسلامي لها أبعادها الجغرافية وذلك كما يتضح من الشكل التالي :

الخاصية الإسلامية		البعد الجغرافي
ـ العالمية	←	توزيع الإسلام كدين له أتباع منتشرون
ـ الالهية	←	توجيه الإسلام للسلوك الإنساني في البيئة
ـ العقلية مع الروحية	←	تفسير الأبعاد المكانية للشعائر الإسلامية
ـ الخاتمية مع الاستمرارية	←	الدعوة إلى الإسلام ماضيها ـ حاضرها ـ مستقبلها

● شكل (٢) الأبعاد الجغرافية لخصائص الإسلام

وتمثل الأبعاد السابقة ركائز أساسية للمنهج الجغرافي الأصولي للدين الإسلامي . ولاستكمال البناء المنطقي للمنهج لابد أن يتوافر التقديم النظري للموضوع وترتيب العناصر والمباحث في نسق مترابط متسلسل ، وعلى ذلك يمكن اقتراح المنهج (البرنامج أو المقرر) التالي لدراسة جغرافية الإسلام الأصولية :

المبحث الأول :

(مقدمة أصولية):

عن جغرافية الأديان موضوعاً ومنهجاً وموقع جغرافية الإسلام منها ، والجهود العلمية السابقة في الموضوع وتطورها ودرجة النضج المنهجي فيها والظروف المحيطة بذلك التطور ، فضلاً عن إبراز أهمية وأهداف دراسة جغرافية الإسلام من الناحية الأكاديمية والناحية الدينية .

المبحث الثاني :

توزيع الدين الإسلامي :

وهذه دراسة للإسلام من الخارج تعني بالصورة التوزيعية الراهنة لانتشاره والنطاقات والمحاور الكبرى والثانوية للوجود الإسلامي وانتشار الأقليات وعلاقة هذه الصورة التوزيعية بتوزيع الديانات الأخرى السماوية وغير السماوية . والتوزيع عنصر جغرافي أصيل يتجه الإهتمام فيه إلى تحليل الصورة التوزيعية والظروف الجغرافية بها والمؤثرة عليها ، ومن الطبيعي أن توجد علاقات بين توزيع الدين الإسلامي وعدد من الظروف الجغرافية الطبيعية والبشرية والتي تفسر الوجود الكثيف أو المخلخل للإسلام في إحدى المناطق .

المبحث الثالث :

جغرافية الدعوة الإسلامية :

وهي بمثابة العنصر المتحرك في الدين الإسلامي والذي ضمن قيام العالم الإسلامي في الماضي والحاضر بشكل متنامي ، ويضمن كذلك استمرار الإسلام ديناً عالمياً للناس كافة . وبالرغم من أن الدعوة تكليف الهي واضح الأسلوب «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»(٤٢) إلا أن المعرفة البشرية للدعاة (المسلمين) وقدرتهم على حشد طاقاتهم وإمكاناتهم وإلمامهم بالظروف المختلفة

للمستهدفين للدعوة وحسن اختيارهم للزمان والمكان والأسلوب الأنسب لنجاحها ، كل ذلك له دور بارز في أثر الدعوة على إنتشار الإسلام في الماضي والحاضر والمستقبل ، وتحليل ذلك هو ما ينبغي أن يدخل في اهتمام الجغرافي . ولدراسة جغرافية الدعوة بعدان : بعد تاريخي عن دورها في إنتشار الإسلام وازدياد رقعته ، وهذا يفسر جزءاً من الصورة التوزيعية الراهنة للإسلام والمبسوطة في المبحث الثاني ، وبُعْد واقعي مستقبلي يهتم بتحديد الجهات التي تلزمها الدعوة الإسلامية وتحليل ظروفها الجغرافية الطبيعية والبشرية لمعرفة القدر المناسب المطلوب للدعوة زماناً ومكاناً وإمكاناً وتبين المشكلات والعقبات التي يمكن أن تواجهها وكيفية التغلب عليها ، وليس أقدر من الجغرافي للتصدي لمثل هذه الدراسة التحليلية المتكاملة .

المبحث الرابع :

توجيه الإسلام للسلوك الإنساني في البيئة :

وهو دراسة للإسلام من الداخل ، ومحاولة لتتبع ما يطبعه على سلوكيات المسلمين في تعاملهم مع عناصر البيئة والكون المحيطة بهم ، أو بمعنى آخر تأثير الإسلام على تكوين الغلاف الفكري للمسلمين ، والطريقة الخاصة التي يتفاعل بها المسلمون مع مكونات البيئة . وقد سبقت الإشارة إلى أن الإسلام ــ قرآناً وسنة ــ قد أرسى قواعد معينة ينظم بها المسلمون حياتهم في جميع جوانبها الدينية (التعبدية) والإجتماعية (الأسرة وعلاقاتها) والإقتصادية (التملك ــ استخدام الأرض ــ التجارة ــ الزكاة) والسياسية (نظام الحكم والشورى) والأمنية (في السلم والحرب) والعمرانية والدولية (علاقات المسلمين وغير المسلمين) . . . إلى غير ذلك من الجوانب ، فالإسلام نظام حياة متكاملة ومتفاعلة ، ومن الطبيعي أن تنعكس تلك التوجيهات الإسلامية على سلوكيات المسلمين في التفاعل مع البيئة بحيث يتميزون في ذلك عن غير المسلمين ويبدو هذا الإنعكاس وهذا التميز في آثار ومظاهر مباشرة (مثل نمط عمران ــ نظام حكم ــ استخدام أرض) أو غير مباشرة (مثل تماسك الأسرة وتكامل المجتمع ــ ارتفاع إنتاجيته ــ تحضره . . . الخ) .

وعلى الباحث في جغرافية الإسلام أن يتتبع تلك المظاهر والآثار ويؤصل لها في شكل قواعد

ولابد أن يستفيد في هذا المضمار بالمصادر الشرعية للإسلام وبالسجلات التراثية لأحوال المسلمين في فترات ازدهارهم وتدهورهم ومقارنة ذلك بأحوال الأمم الأخرى ورغم أن ذلك بحث مضني إلا أنه شيق ومثمر وضروري لتأصيل جغرافية الإسلام .

المبحث الخامس :

الأبعاد المكانية للشعائر الإسلامية :

وتهدف الدراسة هنا إلى محاولة تفسير الجوانب المكانية المتعلقة بالشعائر من ناحية ، وتوظيف المعرفة الجغرافية من أجل تيسير وحسن أداء تلك الشعائر ، والملاحظ أن شعائر الإسلام أو أركانه التي تمارس كالصلاة والزكاة والصوم والحج لها أبعادها المكانية وهي وإن كانت تعبدات توقفية إلا أن للمسلم أنْ يستجلى حكمتها ويعايش ممارستها معايشة الواعي بأسرارها ، وهنا قد يستأنس بالتحليل والتفسير الجغرافي في الإجابة على أسئلة هامة من أمثلتها :

- هل للظروف المكانية دور في كون شبه جزيرة العرب منطلقاً للدعوة الإسلامية ؟
- ماهي الخصائص المكانية لمكة كقبلة للإسلام خاتم الأديان ؟(*).
- ماهي الدلالة المكانية لتحديد مواقيت الحج والإحرام وحدود الحرم المكي ؟ * . . . . . الخ .

أما عن توظيف المعرفة الجغرافية في دراسات حول الشعائر فمن أمثلتها دراسات تحديد قبلة الصلاة ومواقيتها حسب الأماكن ، وقصر الصلاة مع السفر في الحضر والبداوة ، ودراسات تحديد أوائل الشهور العربية ، ودراسات حول أنواع الزكاة وعلاقتها بالموارد المتاحة ، وتحديد الجهات الأولى بصرف الزكاة تصريفاً شرعياً ، وما يمكن أن توجد من علاقة بين الصوم ومشكلة الغذاء في العالم الإسلامي ، والدراسات المتصلة بالحج من الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والثقافية وحركة السكان ، ودراسات تخطيط وتحسين طرق ومسالك أداء الشعائر وتيسير إقامة وحركة الحجيج .

وفضلاً عن المباحث الخمس المقترحة لجغرافية الإسلام الأصولية قد تظهر بعض الأبعاد أو الموضوعات والإهتمامات الجغرافية الجديدة التي تعالج العلاقات المكانية لخصائص الدين

الإسلامي بمنهج أصولي ، أو التي تعالج الإشارات الجغرافية في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

خامساً : منهج لجغرافية الإسلام التطبيقية (أو الإقليمية) :

تنطوي أهمية هذا المنهج في كونه محاولة لتطبيق أصوليات المنهج السابق لدراسة الإسلام على واقع مادي ملموس هو الإسلام كدولة ، أو بمعنى آخر ككيان جغرافي له أبعاده الأرضية الطبيعية وأبعاده البشرية والإقتصادية في الماضي والحاضر والمستقبل . فالإسلام الذي له خصوصياته كدين مثل: العالمية ، الإلهية ، العقلية مع الروحية ، والخاتمية مع الإستمرارية . . . وغير ذلك ، والذي يطبع كافة الثوابت والمتغيرات في حياة المسلم بطابعه كفيل بأن يخلق شخصية حضارية متميزة للمكان الذي يقطنه المسلمون يتفرد بها عن الأماكن المجاورة بحيث يصح أن يسمى ذلك المكان باسم الإقليم الإسلامي وهذا الإقليم ليس إقليماً طبيعياً بالضرورة لكنه إقليم حضاري ، كما أنه ليس إقليم ظاهرة واحدة يقوم تجانسه عليها ، رغم أن الإسلام هو أساس تجانس الإقليم ، لكنه إقليم حضاري شامل لشمول هذا الدين يحوي داخله تباينات إقليمية وتتحقق وحدة الإقليم الشامل من خلال تلك التباينات الداخلية ، وما يمكن أن يسمى بالإقليم الإسلامي هو وطن المسلمين ، وهو ما يطلق عليه حالياً العالم الإسلامي ، وهو في نفس الوقت المجال الذي تتخصص في دراسته جغرافية الإسلام التطبيقية .

ومن الأنسب أن يدرس الإقليم الإسلامي (أو العالم الإسلامي) وفق المنهج الإقليمي ـ ركيزة المناهج الجغرافية ، حيث تتم معالجة الإقليم في عدة إطارات وأبعاد مكانية وزمانية وأهم الإطارات المكانية أربعة هي : تحديد الإقليم (من الخارج) قيام أو تكون الإقليم (من الخارج والداخل) ، قوام الإقليم (البناء الداخلي) وأخيراً تقويم الإقليم (تكامل كلي) . أما الأبعاد الزمانية فهي ثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، وتتدرج دراسة الإقليم في تلك الإطارات والأبعاد كما يتضح من الشكل التالي :

اطارات المكان أبعاد الزمان	من الخارج	من الخارج والداخل	البناء الداخلي	تكامل كلي
المستقبل				تقويم الاقليم
الحاضر	تحديد الإقليم		قوام الاقليم	
الماضي		قيام الاقليم		

● شكل (٣) اطارات وأبعاد منهج دراسة الاقليم

واضح أن دراسة الإقليم من الخارج أو تحديده تتم حسب الوضع الراهن ، أي في الحاضر ، وكذلك بنية أو قوام الإقليم وهي دراسة تحليلية ، أما قيام الإقليم أو تطور بنيته فمجالها الماضي ، بينما تقع الدراسة التقويمية بين الحاضر والمستقبل حيث أنها دراسة تركيبية استنتاجية للواقع ومشكلاته واسقاطاته المستقبلية .

وعلى هذا يمكن أن يتضمن منهج (مقرر) جغرافية الإسلام التطبيقية ، أو بمعنى آخر جغرافية العالم الإسلامي المباحث التالية مرتبة منطقياً .

المبحث الأول :

تحديد الإقليم (العالم) الإسلامي :

تعالج هنا المستويات والأسس والمعايير التي يمكن الاستناد إليها في تحديد العالم الإسلامي ، فعلى الرغم من وضوح توزيعه وكثرة الكتابات العلمية ، لم يتم الإتفاق العام على الحدود التي ينتهي عندها العالم الإسلامي بل ولم تناقش قضية التحديد هذه بالقدر الكافي ، ويمكن أن نميز مستويين لتحديد العالم الإسلامي : مستوى جغرافي ومستوى سياسي . ويقصد بالمستوى الجغرافي تتبع الوجود الفعلي للمسلمين بغض النظر عن الانتماء السياسي للبقعة التي يقطنونها ،

وعلى ذلك فالعالم الإسلامي هو وطن المسلمين حيثما كانوا ــ في تجمع كبير متكتل ، أو في مجموعات صغيرة مبعثرة ووسيلة ذلك التتبع هو الخرائط وعن طريقها يمكن تحديد نطاقات رئيسية للعالم الإسلامي ونطاقات ثانوية ومناطق للأقليات والجماعات المبعثرة كما في وسط افريقيا والعالم الجديد .

أما المستوى السياسي فيعتد بتحديد الكيانات السياسية (الدول) التي تؤلف العالم الإسلامي ، ويستند هذا التحديد إلى أكثر من معيار فقد يكون معيار سكانياً ، وحسبه يمكن اعتبار الدولة إسلامية إذا بلغت نسبة المسلمين بها درجة السيادة (٥٠ ٪ فأكثر) أو درجة الرئاسة (أكبر نسبة بين تابعي الديانات) ، وقد يكون المعيار دستورياً بأن ينص دستور الدولة على أن دينها الرسمي ــ أو الأساسي هو الإسلام ، وقد يكون تنظيمياً بمعنى انتماء الدولة إلى تنظيم دولي إسلامي يجمع ويوحد حركة الدول الإسلامية ومن أمثلته القائمة منظمة المؤتمر الإسلامي .

ومع الوضع التوزيعي الحالي للعالم الإسلامي جغرافياً وسياسياً ، لا يتضمن الاعتماد على أحد المستويين فحسب في تحديده شمولاً لكل المسلمين ولا للحقائق التوزيعية المطلوبة عنهم ، ولذا يحسن الاستناد إلى كلا المستويين الجغرافي والسياسي في تحديد العالم الإسلامي .

المبحث الثاني :

قيام العالم الإسلامي :

ويدرس فيه العمليات والمراحل المتعددة والمتميزة التي تكون عن طريقها وخلالها العالم الإسلامي ، وينبغي الا تأخذ الدراسة شكل التتبع التاريخي السردي لوقائع انتشار الإسلام ومعاركه ورجالاته . . . الخ فذلك منهج المؤرخين ، وإنما هناك بعض العمليات الكبرى لقيام العالم الإسلامي ولكل منها فترة مميزة فمثلاً هناك فترة الدعوة النبوية تليها فترة الفتوح والغزوات في عهد الخلفاء والأمويين ثم فترة الإنتشار السلمي نتيجة للتجارة والاحتكاك الحضاري والطرق الصوفية ، وأخيراً توحد فترة الاقتناع العلمي بالإسلام وهي التي نعيشها حالياً . ويهتم الجغرافي بتحديد النطاق المكاني لكل فترة وكيف ساعدت ظروفه الجغرافية على

نجاح أو فشل عملية انتشار الإسلام وبيان الطرق والمسالك التي سلكها الإسلام والمحاور التي استقطبها والجهات التي فتحت له . ومما يؤكد أهمية البعد المكاني لقيام الإسلام حدوث الإنتشار في نمط نطاقات شبه حلقية فمرحلة الدعوة النبوية نشرت الإسلام في شبه جزيرة العرب ، ومرحلة الفتوح والغزوات فتحت منطقة الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط ، وواصل الإسلام انتشاره في العالم القديم في مرحلة الإنتشار السملي . أما مرحلة الإقتناع العلمي فنطاقها العالم أجمع ، خاصة أوربا والعالم الجديد . ويستطيع الجغرافي بذلك أن يحدد دور كل عملية وكل مرحلة في قيام العالم الإسلامي ، مساحة أرضية ـ وكياناً سكانياً .

المبحث الثالث :

قوام العالم الإسلامي :

يتركز الإهتمام هنا على تحليل التركيب الداخلي للعالم الإسلامي في حالته الحاضرة ، وهذا يمثل صلب الدراسة الجغرافية الإقليمية . ويمكن معالجة العالم الإسلامي إقليمياً في أحد إطارين أو كليهما :

ـ على أساس أنه إقليم واحد .
ـ على أساس وجود أقاليم متميزة بداخله .

وفي كل لابد أن تمتد الدراسة إلى تحليل العناصر التالية :

* الوضع الطبيعي من خصائص أرضية ومناخية وحيوية ومائية . . الخ .
* الكيان البشري من سكان لهم أحوالهم الإجتماعية والثقافية والديموجرافية ، ومن سكن متعدد الأنماط . . . الخ .
* البنيان الإقتصادي وأنشطته بدرجاته المختلفة ودرجة إسهامها في ذلك البنيان .
* التركيب السياسي وأهم عناصره الخريطة السياسية للعالم الإسلامي .

ومن المهم في دراسة العناصر السابقة أن يرتبط بتحليلها إعادة تركيبها على هيئة أنماط كبرى ، أو بمعنى آخر أقاليم ذات هويات متميزة مما يسهل المقارنة ودراسات التكامل في العالم الإسلامي .

المبحث الرابع :

تقويم العالم الإسلامي :

يمكن أن تشتمل الدراسة التقويمية للعالم الإسلامي على أربعة عناصر رئيسية :

- مواطن القوة ومواطن الضعف في البنية الجغرافية الشاملة للعالم الإسلامي وتتبين تلك المواطن من التحليلات السابقة لتحديد العالم الإسلامي وقيامه وعناصر قوامه ، ويعتبر حصر مواطن القوة والضعف نقطة انطلاق التخطيط المستقبلي الشامل في العالم الإسلامي .
- الوضع العالمي للعالم الإسلامي ، فالمسلمون ليسوا منعزلين في عالمهم عن عالم البشرية الأكبر بل يتفاعلون معه سلباً وإيجاباً ، ويتحدد نتيجة لهذا التفاعل الوزن الإسلامي العالمي .
- مشكلات العالم الإسلامي ، وهي تركيز لما رشحه العنصران السابقان على هيئة مشكلات واضحة بعضها ناتج عن عوامل من داخل العالم الإسلامي ، وبعضها عن عوامل من خارجه وقد تكون عوامل بعضها من الداخل والخارج معاً .
- مستقبل العالم الإسلامي ، ويتأسس هذا المستقبل على ركائز من العناصر الثلاث السابقة ، ويتوجه ليستوعب جميع أقضية العالم الإسلامي وإن كانت هناك بعض الأبعاد والقضايا الأولى بالنظر المستقبلي مثل التقدم الشامل ، وانتشار الدعوة الإسلامية والتضامن والتكامل والوحدة الإسلامية .

نخلص مما سبق إلى أن المنهج الأصولي والمنهج التطبيقي (الإقليمي) لجغرافية الإسلام يكمل أحدهما الآخر فهما يدرسان وجهي عملة واحدة هي الإسلام وجهه كدين (أصولي) ووجهه كدولة (تطبيقي) ، ولقد حظى الإسلام كدولة بعدد وافر من الدراسات الجغرافية والتي لم تعتمد كلها على أصوليات جغرافية الإسلام مما يشير إلى أهمية التركيز المستقبلي على دراسة جغرافية الإسلام عموماً وجغرافيته الأصولية

خصوصاً ، والإهتمام بذلك له سنده الشرعي ، فرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يقول ما معناه «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» .

●●●

الهوامش :

(١) محمد فتحي عثمان ، مقدمة كتاب البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٣٩٩/٩٧٩ ص ٣٢ ــ ٣٣ .

(٢) جامعة المنوفية بمصر ، جامعة الأزهر فرع المنوفية في العام ١٤٠١ ــ ١٤٠٢هـ (٨٢/٨١) وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في العامين ١٤٠٢ ــ ١٤٠٣ ــ ١٤٠٤هـ .

(٣) روجر منشل ، تطور الجغرافيا الحديثة ، ترجمة محمد السيد غلاب ودولت صادق ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٣٩ .

(٤) يرى البعض أن كلمة تقنيات البحث (تكنيك Technique) تعني أدوات البحث، وإن كان هناك من يسميها بالوسائل الفنية للبحث ، وهي المقصودة هنا بينما يجعل أدوات البحث شيئاً آخراً ، انظر أحمد بدر ، أصول البحث العلمي ومناهجه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ــ الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩ ص ٣٤ .

(٥) عبدالرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، القاهرة ، دار النهضة العربية سنة ١٩٦٣ ص ٥ ، أحمد بدر ، المرجع السابق ص ٣١ ــ ٣٣ .

(٦) الدمرداش سرحان ، منير كامل ، المناهج ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ص ٢ .

(٧) (أ) نفس المرجع السابق ص ٢ ــ ٧ .
(ب) عبداللطيف فؤاد ابراهيم ، المناهج ، أسسها وتطبيقاتها وتقويم أثرها ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ص ٢٧ ــ ٣٩ .

(٨) الدمرداش سرحان ، منير كامل ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ ــ ١٩٩ .

(٩) Hartshorne, R., The Nature of Geography, A.A.A.G., Pennsylvania, 1939, p. 120.

(١٠) Chapman J.D. "The Status of Geography", The Canadian Geography, Vol. X, No. 3, 1966, p. 133.
(ب) روجر منشل ، المرجع السابق ص ٤٦ ــ ٥١ .

(١١) وهيب سمعان ، رشدي نبيب ، دراسات في المناهج ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ٩٧٢ ص ١٥٩ .

(١٢) عبدالرحمن بدوي ، المرجع السابق ص ٧ ــ ١٢ .

(١٣) محمد لبيب النجيحي ، محمد منير موسى ، المناهج والوسائل التعليمية ، القاهرة ١٩٧٧ ص ٢١ ــ ٢٢ ، الدمرداش سرحان ومنير كامل ، المرجع السابق ص ١٥ .

(١٤) Pierre de Fontaine, Geographie et Religions, Paris: 1948.

(١٥) Dickinson, E., Robert, The Marks of Modern Geography, London, Reprint, 1973, pp. 10-11.

(١٦) Zelinsky, Wilbur, An Approach to the Religious Geography of the U.S., Patterns of Church Memberships in 1952, A.A.A.G., Vol. 51, 1961, pp. 139-193.

(١٧) Fickeler, Paul, "Grundfragen de Religions Geographie" Erdkunde, Vol. 1, 1947, pp. 121-144.

(١٨) Zelinsky, op.cit., p. 140, p. 189.

(١٩) Fleure, H.J. "The Geographical Distribution of Major Religions" Bulletin de Société Royale de Geographie d'Egypte, Tom 24, 1951, pp. 1-18.

(٢٠) Fischer, Eric, "Some Comments on a Geography of Religion" an abstract in A.A.A.G., Vol. 46, 1956, pp. 246-247.
(٢١) Weigert, Hans. W., Principles of Political Geography, New York, 1957.
(٢٢) de Planhol, Xavier, Le Monde Islamique: Essai de Geographie Religieuse, Paris, 1957.
(٢٣) عبدالعزيز كامل ، جغرافية الإسلام في افريقيا ، محاضرات معهد الدراسات الإسلامية القاهرة سنة ١٩٦٨ ، ص ٨ .
(٢٤) عبدالعزيز كامل ، قيام الإسلام ، دراسة في الجغرافيا التاريخية ، مطبوعات الادارة العامة للثقافة بالأزهر ، القاهرة سنة ١٩٦٠ .
(٢٥) Kamel, A.A., The Face of the Moslem World; Bull. Soc. Geog. d'Egypte, T. XXXVIII, 1965, pp. 129-153.
(٢٦) Zelinsky, W. op.cit. pp. 139-141.
(٢٧) عبدالعزيز كامل ، جغرافية الإسلام في افريقيا ، المرجع السابق ص ٤ ــ ٧ .
(٢٨) Fickeler, op.cit. p. 122.
(٢٩) Erich Isaac, "Religion, Landscape and Space," Landscape, Vol. 5, 1960, pp. 14-18.
(٣٠) Kuriyan, George, "Geography and Religion," The Indian Geographical Journal, Vol. XXXVI, 1960, pp. 46-51.
(٣١) Nelson, G.K. and Clews, R.A., "Geographical Mobility and Religious Behaviours," Sociological Review, Vol. 21, 1973, pp. 127-135.
(٣٢) Hinshaw, P.L. and Stutz F.P., "Socio-Religious, Spatial Behaviour," Southeastern Geographer Journal of the Southeastern Division of the A.A.A.G., Vol. XVI, May 1976.
(٣٣) Sopher, D.E., Geography of Religions, London, 1967.
(٣٤) سورة الزمر ، الآية ٦٢ .
(٣٥) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .
(٣٦) نظمي لوقا ، محمد ، الرسول والرسالة ، القاهرة .
(٣٧) Bowman, I., The New World, Problems in Political Geography, London, 1928, p. 124.
(٣٨) سورة الأنعام ، الآية ١٦٢ .
(٣٩) حديث شريف .
(٤٠) سورة الجاثية آية ١٣ .
(٤١) سورة فصلت آية ٥٣ .
(٤٢) سورة النحل ــ الآية ١٢٥ .

* قد يجيب عن هذا السؤال دراسات الدكتور حسين كمال الدين عن مركزية مكة ومسقطها العالمي .
* من الاجتهادات في ذلك ، صلاح عبدالجابر عيسى ، «رؤية جغرافية لمواقيت الاحرام وحدود الحرم المكي» ، نشرة الجغرافيا ــ العدد الأول ــ محرم ١٤٠٣ ــ أكتوبر ١٩٨٢ كلية العلوم الاجتماعية ص ٨ ــ ١١ .

● ● ● ●